المصري
معجزة تسعى

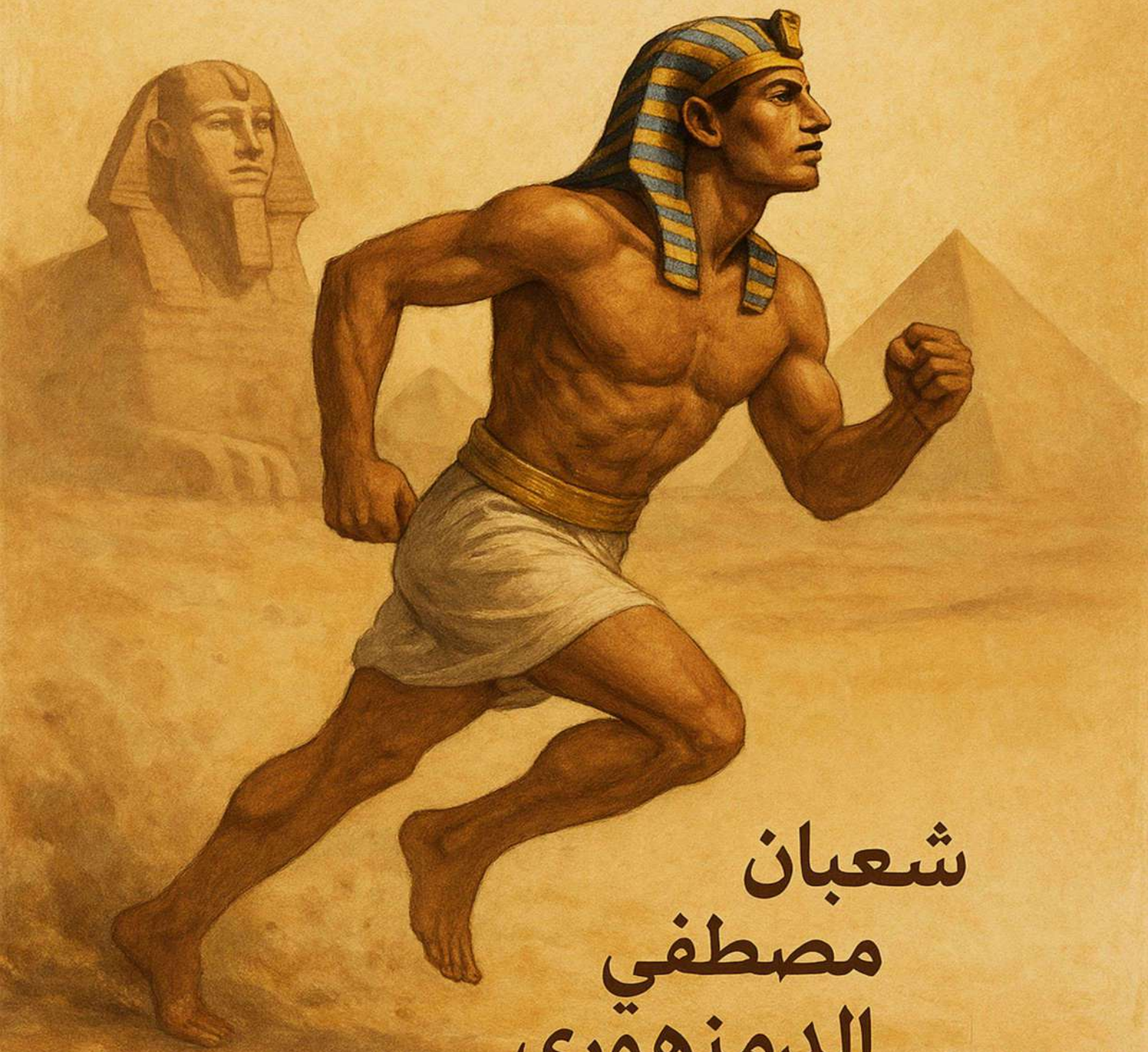

شعبان
مصطفي
الدمنهوري

المصري معجزة تسعى

شعر

شعبان مصطفى الدمنهوري

اسم الكتاب: المصرى معجزة تسعى

النوع الأدبي: ديوان شعر فصحى (حر)

تأليف: شعبان مصطفى الدمنهورى

تدقيق لغوي: نبيلة إبراهيم العبد

تنسيق داخلي : الكاتب بنفسه

فهرس

١ ـ المصرية حارسة الهوية ص٥

٢ ـ المصري معجزة تسعى ص٦١

المصرية حارسة الهوية

١

هي ليست رمزًا لحضارة

بل هي كحضارة تتنفس

هي مصر و قد كُسيت لحمًا

تسعى فى الدنيا و تتحسس

من تربتها صُبغت لونًا

صارت قمحًا يسعى حيّا

وسقاها النيل و نماها

صارت نهرًا يروي ريّا

وهواها صفوا نشقته

فأحالته عطرًا مخفيًا

يعبق منها أينما حلت

ينساب لطيفًا و نديًا

المصرية صارت مصر

بل مصر صارت مصريةَ

من قبل تاريخ نعرفه

أوعبت الدرس بجدية

هضمت حضارتها و ثقافتها

أحالتها سرًا مطويًا

سر هي صارت تجسيده

فأحالها كنزًا مرأيًا

فحضارة مصر بفخامتها

جُدلت في كيان المصرية

صارت نفسا تتنفسه

فعلًا عفوا يصدر عنها

تحكيها لغة محكية

تُرضعها صغارًا تُنجبهم

تُلزمها كبارًا تصحبهم

للآتي ترجوها وصية

صارت حضارتها هويتها

وبحرص تام نقلتها

لبنين إذ يغدو رجالًا

تغدو هويتهم مصرية

نحن المصريون بجملتنا

لا نخشى ضياع هويتنا

فهويتنا ليست فكرة

بل كائن حي متجسد

ندعوه جميعًا مصرية

.....

٢

هو أمر أدركه المصري

من قبل تاريخ نعرفه

لذا صان المرأة و قدرها

لا تكمل أبدًا سعادته

إلا إن كان بمحضرها

فنراها دومًا بجواره

ونراه دوما بجوارها

فهناك هناك في أعماقه

هو يدرك أعمق أسرارها

هو يدرك أنها موطنه

هو يدرك أنها حضارته

هو يدرك أنـها مأمنـه

إذ تحفظ سر هويته

فالمصري الحق لا يرضى

أي هوان يصب امرأته

هي موطنـه

أو يرضى وطنى حر

بهوان إذ يغشى وطنـه ؟!

هو لا يرضى حتى بكلمة

قد تؤذيها

هو يتحاشى حتى النسمة

قد تشكيها

هو يدفع روحه مرضيًا

كي يحميها

هو أصدق عاشق فى العالم

إذ يحكيها

إن قال أنـها سيدته

ليس هنالك من يدانيها

هو صدق ينبع من عمقه

أليس بوطنه تذكره ؟

إذ وطنه يتجسد فيها

تربته جسد نبصره

سمرته خير نعشقه

تعنيها دوما سمراء

هي حبة قمح تتهادى

بل سنبلة

لا بل بيدر

هي رمز حيّ لنماء

هي صنو النيل في نعومته

عذوبتها بنت عذوبته

ورضابها من نفس الماء

هي تحكي مصر بخصوبتها

وثمار الوطن بوفرتها

تنميها حدائق غناء

أشجار نخيل تتخبط

تُحدق بعيون حوراء

تفاح يزهو بألوانه

كريز ترجوه قطافًا

رمان يُتبعك وجيبًا

ياسمين يعبق فواحًا

.....

٣

المصرية نبت مصري

لن يدرك سرّ فرادتها

أو يفهم سرّ تميّزها

إلا المصري

لذا قبل تاريخ نعرفه

تتبع سرّ حضارته

وبوعي قل تكرره

أهدته خطاه إلى الماعت

فالماعت تحفظ واديه

إن سار الحاكم بالماعت

تطفر بالخير أراضيه

والماعت فى نظره امرأة

مصرية تشمخ بإباء

تعلوها الريشة ببهاء

في إحدى يديها عصا الحكم

والأخرى مقبضها العنخ

تقبضه قبضة عصماء

والصورة رمز مزدوج

أبدعها المصرى بروية

فالماعت ليست سوى مصر

تُجسدها امرأة مصرية

الريشة رمز للعدل

العنخ مفتاح حياة

مفتاح حضارة و رقي

عصا الحكم رمز للحاكم

يقبضها بعظمة و أناة

وبذلك تكتمل الصورة

ما دام الحاكم معتدلًا

يمضي فى طريقه بالعدل

فمصر بالعنخ ستمضي

كي تفتح أفقًا لحياة

كي تبني حضارة لا تفنى

عن الشر تظل بمنجاة

فالعنخ آلة المصرى

العنخ فأسه و شادوفه

العنخ حرابه و سيوفه

العنخ نول للغزل

محراث ليشق الحقل

مصنع إذ يهدر بالعمل

ينتصب الوادي كالمارد

كي يخزي عينًا للحاسد

ويرد كيدا للحاقد

كما يحني جباها لبغاة

العنخ عتاد للجيش

وسلاح في يد الجندي

لا يرفعه بغيًا أبدًا

فالجيش المصري لا يبغي

لكنه ردعًا لطغاة

العنخ محقن لطبيب

إن مرض مريض يحقنه

العنخ لوح لمعلم

يمحو جهلًا إذ يرسمه

للمصري العنخ وسيلته

دربه ليحقق معجزته

إذ يبني للمجد حياة

كما يُبرز مصر كاللوتس

زهرة ندية

يرعاها العدل و العنخ

فتظل دومًا مروية

والصورة تتضمن سرًا

الصورة بجملتها هوية

تجسدها امرأة مصرية

كي تبقى مصر مصرية

فالضامن قطعًا مصرية

هو درس أوعبه المصري

من قبل تاريخ نعرفه

فالحاكم إبن لآمون

تُنجبه امرأة مصرية

فالمصري بحرص لم يأمن

نقاء دماء لحكامه

إلا من فيض المصرية

فالأمة من فيضها تنهل

كي تبني هوية مصرية

وهويتهم أمر يتعين خارجهم

هي ليست فكرة تراوغهم

هي نمط حياة مرعية

أما المصرية فلم تنسى

صورة هي يوما كانتها

هي ماعت و ستبقى كذلك

مفتاحها دومًا في يدها

إن خشيت يومًا تنساه

تجعله قلادة في جيدها

أو إسورة تتقلدها

فالبيت المصري مفتاحه

رهن المصرية و فكرتها

.....

٤

الأمر جميعه من باكر

لخصه المصري في أسطورة

أسطورة محورها المرأة

إذ فيها هي تسد الصورة

فهناك قديمًا في الماضى

إيزيس مصر تتجسد

أوزير قمح يُغنيها

هو عصر رائع كالحلم

تجني مصر ما يكفيها

إيزيس كانت تتنعم

ليس هنالك ما يشقيها

غير أن الجدب ست

سعى بحرص كي يُبليها

كي يقتل أوزير الخضرة

كي يجدب كل أراضيها

غير أن مصر إيزيس

جمعت أجزاء المقتول

حتى يخصبها بمعجزة

كي تنجب حورس المصري

كي يبنى حضارة للعالم

ترعاها إيزيس المصرية

صارت مصر أم العالم

لولاها و لولا فعلتها

جدبًا مطلقًا كان العالم

هنا صارت مصر مصرية

إيزيس صارت مصرية

حورس تحتضنه و ترعاه

تمنحه هوية مصرية

حتى يتخلص من الجدب

إذ يُقصى ستًا و قبيله

كي يُحي مواتًا لأوزير

تخضر الأرض المصرية

إيزيس لخصت الموقف

هي كانت مصر في المنشأ

من ثمّ صارت مصرية

صارت نبراسًا للمرأة

تحذوه كل مصرية

ستظل كذلك للأبد

من تصحب زوجها و تُعنه

تشاركه في كل شؤونه

تصبح إيزيس المصرية

من تحمي زوجها من همّ

تُبعد عنه كل شجونه

تُصبح إيزيس المصرية

من تحفظ زوجًا قد غاب

تتقصى دومًا أخباره

حتى تنقضي أسفاره

ويعود معافًا إلى داره

تُصبح إيزيس المصرية

من يصن الصبية ترهّبها

إن أبق الزوج و فارقها

أو حم قضاء ترمّلها

تُصبح إيزيس المصرية

من ترعى بنيها و تحميهم

تُرضعهم حب أراضيهم

سرّ هويتهم تفشيهم

تُصبح إيزيس المصرية

إيزيس المصرية أول

من ربى صغارًا على ثأر

هي أول من وفّى بنذر

هي أول من حفر عميقًا

كي يُفشل سعيًا للغدر

هي أول من وضع بفخر

أول أحجار الوطنية

إذ حورس نقم على ست

إجدابه الأرض المصرية

حورس ربته إيزيس

كي يُرجع مصر مصرية

طريق خطته إيزيس

كي يهدي المرأة المصرية

.....

٥

المرأة المصرية إيزيس

محبتها

من نفس نهر محبتها

زوجها عالمها و دنياها

لا تحتمل عليه الضرر

حتى الشكوى يتشكاها

إن كان في عمل تعاونه

بل تسبقه سعي يداها

إن فُجع بهمّ تدعمه

تشاركه همّه برضاها

إن ضاق يومًا به رزق

لن يتأذى من شكواها

يُرضيها قليل يجلبه

برضى نفس تتقبله

مع وجه باسم كالصبح

تُشعره كثيرًا آتاها

أما إن جاء بلا رزق

تصطفق يداه على العدم

تلقاه بوجه مبتسم

حذرًا أن يغرق في الهمّ

وتمسد وجهًا مكتئبًا

لا تُحزن نفسك ياعمري

عودتك معافًا تكفينا

والخير كثير لو تدري

فهناك أثاث نشريه

وهناك إله يرعانا

والفرج سيأتينا يجري

فالمصرية رزق يسعى

وهنالك سر تخفيه

يُمكنها إدارة منزلها

بقليل مغموض فيه

هي بنت حضارة و تاريخ

كم مرّ عليها و عليه

أما إن مرض الزوج

ستلازمه مثل جليسة

وتمرضه مثل طبيبة

لن تُسمعه شكوى وحيدة

مهما ساءت حالته

لن تفقد أملا في شفائه

مهما شملتها إساءته

لن يُغضبها فرط إيذائه

ستأولها بمعاناته

آلامه تبرر غضبته

لن تبخل جهدًا أو مالًا

رجيًا أن تنقضي كبوته

لذا صارت مضرب أمثال

تحكيها القصص الشعبية

من مرّض أيوب المصرى

غير ناعسة المصرية

من أجله باعت ضفائرها

حتى تمنحه العافية

المصرية بنت إيزيس

من عالج زوجًا قد قتل

جمعته أجزاء شتى

أعادته حيًا إذ كمل

أما إن ضاق به العالم

و سعى لرحاب الرحمن

المصرية تُصبح آية

مفخرة مكان و زمان

يكتمل شبهها بإيزيس

و كأنهما توأمتان

فحياة إيزيس قد صارت

ملكًا للراحل أوزير

هى ربّت حورس و رعته

كى يُرجع حقا لأوزير

جعلت من ست له هدفًا

كى يُحي مواتًا لأوزير

مرباها حورس صيرها

ذكرى خالصة لأوزير

وكذاك المصري الراحل

المصرية ستقفو خطاه

لن تُبدله زوجا آخر

لتظل ترعى ذكراه

لن ترجع لديار الأهل

كي تُبقي بيتا بنياه

ستعد صغار أنجبها

بنيان حي ترعاه

وستحسب أن نجاحهم

هو أمر صارم أوصاه

فبقدر رقيهم جميعًا

بقدر تحقيق مناه

وستهب حياتها مرضية

كي تنمي حقلًا زرعاه

إخلاص كالماء يسري

لن يفهمه إلا المصري

فالراحل ليل قد جاء

والفتية بشائر بالفجر

المصرية ستُنمّيها

كي تجعلها نهارًا يجري

لتظل هناك بمفردها

روحا هائمة تتعلق

ما بين الليل بحلكته

وبين الضوء المنتشر

.....

٦

المصرية ، ما المصرية؟!

هي فرط حنان يتدفق

هي محض ضياء ينتشر

يخترق الليل فيتفتق

هي بدن صابر يحتمل

لو كانت صخرًا لتشقق

هي روح صفو باسمة

يُرضيها قليل يتحقق

شكواها تدفنها عميقًا

لا تُبديها بدو الأحمق

منزلها تُدبّره بحكمة

تُظهره حديقة غناء

مهما كان دخلها أخرق

زوجها تحفظه و ترعاه

لا تظهر أبدا سوأته

تُظهره عظيمًا لجيرانه

لا تبدي منه سوى الأشرق

هي معجزة لا يُعجزها أى تحدّ

هي ماعت و العنخ بيدها

لن يقهرها باب مغلق

لذا صارت سيدة المصري

صارت سيدة في المطلق

المصري الحق يحفظها

يذكر أياديها و يرعاها

أنى حلت هي سيدة

منزلة حقة آتاها

لقب صدق هي تملؤه

لا طبل أجوف ناداها

في المنزل

يدعوها سيدة المنزل

فالمنزل يُصبح مزبلة

إن تبعد عنه سيدته

أحشاؤه تتناثر عفوًا

أجواؤه تتكاثف تربًا

وكأنه مر بمعركة

وهناك خيول و رجال

دهسوة فأثرن النقع

لكن ما أن ترجع سيدته

بعصاة الساحر تُشهرها

فيعود الكل لموضعه

كسحاب مرّ و انقشع

في الخارج يدعوها الكل

عن حق سيدة الكل

هي حرم يرعاه الكل

إن جرأ صفيق و آذاها

سيرد أذيته الكل

مشكلة تفجؤها عفوًا

سيسعى في الحل الكل

فمالها من مال الكل

وشرفها من شرف الكل

مصرية تسعى في الشارع

مفتاح فخار للكل

لذاك المصري كرّمها

أبدلها تاجا بضمير

إن يُشر إليها في حديثه

يتفادى أية تحقير

حتى قولة هي يرفضها

لضمير اللغة التأخير

هي عنده دومًا سيدة

إن قالها فإليها يشير

.....

٧

المصرية عند المصري

قرة عينه

مرقى أمله

مهبط سعيه

إن كان بمكنته

يأتى بالشمس على طبق

ويلم نجومًا من الأفق

والبحر يجمعه في زق

كي ترضى و تبقى باسمة

أما إن غامت عيناها

تنذر بدموع ستفيض

عندها ينهار المصري

والأرض بقدميه تغيض

فدموع المصرية عنده

أغلى من لؤلؤ يتساقط

هي أضعف حالات المصري

المصرية عندها تشرط

وعلى الفور يجيب المصري

.....

٨

ليس هنالك عند المصري

أغلى من دمع المصرية

ذلك ليس عن ضعف

بل منطق أياديه خفية

فهناك تاريخ ممتد

خبروه جوارًا و سوية

إعتادها صلبة فيه

بل ركن يستند إليه

لا تجأر أبدًا بالشكوى

إلا عن حق و جدّية

خصائصها ردءًا يحميها

من شكوى تلجؤها إليها

فعلام الشكوى مع صبر

رفقته حسن تدبير

مع حكمة و حسن روية

فالمصري قد حفر عميقًا

أن المصرية لا تشكو

إلا في البلوى الحتمية

شكواها كذلك تُضعفه

فحمايتها صلب وجوده

إذ كيف يطيب له عيش

وحياتها ليست محمية ؟

شكواها قدح لزناده

تُشعله و تثير عناده

شكواها صعب يرتاده

حتى يرضيها المصرية

فالمصرية إذ تشكو

فهناك تاريخ يتجسد

يُبصره المصري بوضوح

فدموعها ليست هدرًا

لذا لا يعجزه فعلًا

فداء الدمع المسفوح

.....

٩

المصرية كنز المصري

المصرية أمان المصري

المصرية لغز مصري

خزانة حية يملؤها

كنز عملاق يثريها

المصرية

تملؤها هوية مصرية

هي ماعت و بيدها العنخ

مفتاح هوية مصرية

أفعالها تصدر عفوًا

تجسيد هوية مصرية

ما دامت هويتها بخير

ستراها دومًا مرضية

حتى إن ضاقت أرزاقها

ستُعالج وضعها بروية

ستراها دومًا هادئة

ستراها دومًا وادعة

بسمتها تملأ شفتيها

ضحكتها تجلجلها صفوًا

حاجتها رضيًا تقضيها

عشرتها لطف و عذوبة

هي بنت النيل و يكفيها

أما إن هددها باغ

وتجاوز حرمًا ترعاه

سترد كيده و تُخزيه

وستفسد دومًا مسعاه

فالمصرية نمرة شرسة

لا ترضى أبدًا بِدنية

على ذلك ربت أبناءها

لتصير و إياهم شوكة

في حلق بغاة أشقية

فالمصرية خير طبيب

لهموم الوطن و تنهيده

أليست منه تجسيده ؟

وهناك تاريخ يُشرفها

يسعدنا دومًا ترديده

ليس لنوفّيها حقًا

إذ حقها واف تشييده

لكن لنفخر بفخارها

لذاك نُعيده و نُزيده

.....

١٠

المصرية عبر تاريخ

كانت بوصلة للمصري

إن ضلّ عن وطنه طريقه

ترجعه و ترعاه كمصري

كم مرة هدتّه و دعمته

ليزود عن وطنه كمصري

فهناك بعيدًا في الماضى

حين جار البدو على مصر

من واجههم غير امرأة تدعى إياح

لم تركن يوما للراحة

إذ أنى لثكلى ترتاح ؟

لم يثنيها فقد الزوج ثم البكر

حتى أعدت إبنا ثان

وبموكبه كان النصر

أحمس الفارس المصري

نبتة إياح المصرية

أقصى الهكسوس و أبعدهم

كي يرجع مصر مصرية

وإياح قد صارت رمزًا

لم ينساها المصري أبدًا

رغم الآلاف التى مرت

صيرها لحياته رفقًا

صارت أغنية للقمر

ما زال المصرى يُغنّيها

تعبيرًا عن فرح غامر

بأفضل شهر فى العمر

رمضان إذ يغدو بالبهجة

الكل يغنى بالفرحة

وحوي يا وحوي

إياح

.....

١١

أو ننسى يوما كليوباترا ؟

فروما كانت تتنمر

كي تسقط مصر و تُتبعها

كليوباترا كانت خلوًا

من قوة جيش تسندها

لم يتبق ملك يمينها

إلا أسلحة للحب

المرأة المصرية تتقنها

لطف و دلال و عذوبه

يغدو أسيرًا من يبصرها

أحكمت الطوق على القيصر

إذ صار رهينة محضرها

أما أنطونيو فجعلته

كمجرد تابع يتبعها

يكفيها إشارة من يدها

ليحرك جيشه ينفذها

أما أغسطس فتحاشاها

حتى ينجو من فتنتها

لم تفعل ذلك عن عشق

بل كانت مصرية شعرت

بالخطر المحدق بوطنها

ولما كانت عاجزة

بادرته بما تملك يدها

وستجرع سمها راضية

حتى تتخلص من ذل

ترغبه روما عن صبوة

كليوباترا كانت مصرية

فالمصرية ليست نعرة

ليست عرقا نتعشقه

ليست لونا يصبغ بشرة

المصرية نمط حياة

من يتبعه

يصبح مصريا عن خبرة

.....

١٢

هل ننسى درسا للماعت

لقنته طاووسا يتبختر

طاووس بجيش آتاها

كي يوئد ثورة تتفجر

ثورة شملت مصر جميعًا

ريفًا و مدائن تتحضر

أعوان الطاووس بظلم

فجّروا بركانًا من غضب

وجيوشهم رغم الكثرة

لم تفلح فى صلح العطب

والثورة ظلت تتزايد

رغم توافد جند لجب

فأصطحب الطاووس بنفسه

أقوى جنده

فمصر كادت تتفلت

من قبضته

من ثم قرّر فخامته

أن يصحب جند إرادته

ليجوب الدلتا و الوادي

طاووس إذ ينشر ريشه

سيُخزي كيدًا لأعادي

فالمصري سيلقّن درسًا

كي يُحسن قبضًا لأيادي

من تحدثه نفسه بثورة

هاتيك جيوشي ستنادي

والطاووس إذ يتبختر

فاجأته ماعت مصرية

عجوز ظهرها محدودب

خاطبته بكل جدية

هل يعطف مولانا و يقبل

دعوة عجوز مصرية ؟

الطاووس نظرها شذرًا

أتضيفه رفق جنوده

عجوز تنضح فقرًا

فألحت مولاى عطفًا

لا تخزني بين جيراني

فأصير لشؤمهم مثلًا

فذهب معها يتبختر

فاجأته بحسن ضيافة

بل زادت طبقًا تملؤه

وحدات من خير الجوهر

صعق الطاووس بغناها

وتساءل من أين آتاها

فبسطت قبضة من قمح

هذا من هذا و من عدلك

أتراه أدرك مغزاها؟!

هي ماعت و بيدها العنخ

بالعنخ زرعت حنطتها

بالعنخ حصدت بيدرها

بالعنخ جمعت ثروتها

والعدل للعنخ مطية

والطاووس ليس بعادل

وإلا ما غادر عاصمته

كى يوئد ثورة مصرية

أيها الطاووس اقبض ريشك

ولترحم مصر من طيشك

ولترحل و لتبق ببلدك

مسيرك فينا بالعدل

يُغنيك تمامًا عن جيشك

بركان الثورة سينخمد

وستطفر مصر بالخير

يبدلها حريرًا عن خيشك

.....

١٣

من ينسى شجر الدر

إذ مصر في مفترق طريق ؟

بحصافة أنقذت الموقف

ردت كيد الباغي لنحره

نقلته بنصرها من سعة

للحبس يعاني من ضيق

هل ننسى ثبات المصرية ؟

هل ننسى جلال المصرية ؟

حين كان طغاة المرأة

لم يحسموا بعد قضيتها

أترى خلقتها قد كملت

أم نقصًا شائه خلقتها ؟

أو تنسب للحق تعالى

أم للشيطان نسبتها ؟

كانت المصرية تتسامى

وحياتها تمضى برغبتها

كانت ريحانة للمصري

تغشى الأسواق إذا شاءت

تغدو للنزهة إن رغبت

تسعى للعمل كما تهوى

تفديها المهج المصرية

لو نظرة بغي مستها

فهناك رباط سري

يربطها بالمصري فتقوى

هي جنته الوارفة

وهو حاميها الأوفى

هي تضمن حفظ هويته

وهو يُنجح سعيها إذ تسعى

فالمصرية رفق المصري

حبل مجدول بعناية

يندفع سريعًا للأعلى

.....

١٤

من ينسى لوحة حصرية

رسمتها المرأة المصرية

فالبازى بليل قد فرّ

من ثمّ تبعته جنوده

لمصر ضباع قد قدمت

حسبوها ضيعة قد فقدت

أو نبعًا لا يُخشى وروده

لا قوة هنالك تحميها

أو شعبًا يُحترم وجوده

وهم عاشوه فضيعهم

فالضيعة كان يقطنها

شعب هويته تقوده

لم يدرك ذاك سوى ثعلب

فدنى للشعب و داهنه

متحينًا فرصته ليضرب

أما المصرية فلم تقبل

أن يرضخ شعبها أو يُغصب

فتجمعن نساء شتى

وذهبن جميعا للأزهر

فهناك قيادة مصرية

دفعوها كي تأتى الأصوب

كانت تفعل

إذ تدعو الشعب ليتلاحم

وضباع هائمة ترحل

حتى جاء ضبع غادر

داهنه و مناه الثعلب

ليغوص عميقًا في الأوحل

فتصوّر أن بمكنته

حنى الجباه المصرية

واجهته مظاهرة نسائية

فعلتها المرأة المصرية

لم تسبقها امرأة أخرى

لم تحتج أي توجيه

فعلتها بكل عفوية

إيزيس خطرا قد شعرت

أخذت دفها و انطلقت

من عمقها فى الظالم صرخت

ما تجنى من إفلاسى

إن أفلس فيمينك شُلّت

صرختها صارت بركانًا

و الثورة سريعًا قد عمت

و الظالم فرّ كجبان

تُسعده حياته و قد سلمت

ثم جاء ضبع آخر

ركلته القدم المصرية

وانفسح طريق للثعلب

كي يبنى دولة عصرية

.....

١٤

لوحة أخرى

رسمتها المرأة المصرية

حين صار الجندي المصري

صلب عماد الجيش المصري

حين تمكن شخص حُرم

ألفي عام من الجندية

أن يصبح خير الأجناد

كالعنقاء

إذ تُبعث من قلب رماد

لم يتطلب غير عامين

وانطلق يبني الأمجاد

من نصر للآخر يسعى

لا يبغي للمجد نفادًا

إذ ذاك المصرية كانت

تتبع جيشا فيه الزوج

كانت لا تُعجزها وسيلة

كي تبقى فى قرب الزوج

كانت تستبدل مظهرها

كي تشبه رفقاء الزوج

ويصير بذاك بمكنتها

أن تُصبح بجوار الزوج

لم تقبل بسواه بديلًا

عالمها قد صار الزوج

أوليست إبنة إيزيس

لم يوئسها قتل الزوج

حتى جمعت أشلاءه

لتعيد حياة للزوج ؟

الباشا العلوي الأكبر

أغضبه فعل المصرية

لم يترك أمرًا يفعله

كي يبعد تلك المصرية

غير أن سعيه فشل

أفشله امرأة مصرية

حتى رضخ و قبل بواقع

يجعل من حق المصرية

أن تتبع جندًا مصرية

.....

١٥

ثالث لوحات المصرية

والمصرية لطفًا ترسم

فالباشا العلوي الأكبر

دومًا في شؤنه يحسم

والمصري برؤيته أداته

حتى يرتاح و ينعم

فالأولى برأيه إجباره

كى تجنى منه المغنم

فالمصري كسول فى ظنه

يشبهه نبات السمسم

لن تجنى منه فائدة

إن تتركه يتنعم

ينتج زيتا يصلح شأنك

إن تعصره و يتألم

تعسا للباشا و رؤيته

ما المصري إلا بارود

من رام حكه يُشعله

وقبوله لمراد الباشا

ليس عن جبن يفعله

بل عن وعي بخصائصه

تاريخ المصرى يُفسّره

فالباشا في نظر المصري

حاكم عادل حكمه يجري

مشاريعه التترى تحرير

للعنخ في يد المصري

كي يبنى حضارته بكده

كي يسعى و يربح من سعيه

ويعيش هويته كمصري

فالنيل برؤيته حلوب

تعبر واديه إلى البحر

ضرعها يتدفق لبنًا

وتخف سريعًا في السفر

والمصري لن يترك قطرة

إلا عن عجز أو قهر

والسلطة العادلة برأيه

تمسك أقران البقرة

كي يحلبها

وتجازى بذاك ضرائبها

لم يخطر يوما في باله

للسلطة جميعًا يتركها

والباشا لم يفهم ذلك

فالمصري برؤيته جائع

أما النيل فنهر ضائع

لم يضبطه سوى مشاريعه

فليحظ وحده بالعائد

وليبق المصري في جوعه

فالمصري برؤيته كنهره

إذ يدفق سعيه في البحر

ليظل الباشا يتنامى

ويظل المصري في القهر

لم يقف المصري طويلًا

ليناقش الباشا في رؤاه

بل عمد فورًا لمسار

يتقنه و يعلم خباياه

لن يُفشل مسعى للباشا

فصلاح حياته بمسعاه

لكنه لن يقبل أبدًا

أن يُحرم كدا ليداه

سيخصص جزءًا للباشا

لن يعطي الباشا إلاه

والباقي سيخفيه بعيدًا

لن يكشف أحد خفاياه

وجهود الباشا ستضيع

لن يفضح سرًا أخفاه

لذا كان يحبسه الباشا

طمعًا أن يظفر بمناه

إذ ذاك كانت زوجته

تسعى ليلًا إلى محبسه

طفلهما صغير على يدها

وتناجيه :

منزلك مصون كما كان

لا ينقصنا غير وجودك

لا تخشى شيئًا يؤذينا

واهتم بنفسك يا غالي

فالقرية جميعًا تحمينا

إن رمت شيئا تطلبه

مطلبك أوامر تعنينا

ونهارًا تسعى إلى الحقل

كي ترعى شؤونها لليل

من ثم تذهب للحبس

وتظل تسعى بينهما

حتى يعود الزوج لبيته

ليجده مصونا كما تركه

والخير يتهادى بحقله

.....

١٦

كم صورة رائعة خرجت

من عمق المرأة المصرية

حين كان رجال القرية

تبعدهم السلطة بطغواها

من يحفظها ؟

من يرعاها ؟

ليس سوى المرأة المصرية

حين ثارت مصر عرابي

من ضحى بأثاث البيت

لم يُبق في البيت طعام

من أهدى حليّه عن رغبة

ليس سوى المرأة المصرية

من حفظ نديمًا و رعاه

عن عين عدوه أخفاه

أوليست أرملة مصرية ؟

حين ثارت مصر سعد

هل جبنت سيدة مصرية ؟

ريحانتنا عبقت عطرًا

إذ صارت للثورة فخرًا

رآها المصرى فحفزته

لم يخش للباغي ظلمًا

حين منع الباغى بوهمه

لفظة سعد

غنته امرأة مصرية

من أبعد مقصلة الباغى

عن عنق وطني مصري

بائعة فجل مصرية

رغم أنها لا تعرفه

رفضت ثروة كي تُسلمه

فضّلت الفقر مع الفخر

عن ثروة يتبعها دنية

أتراها في عمقها عرفته ؟

فالشاب ليس سوى حورس

تحميه إيزيس المصرية

.....

١٧

آلاف الصور تتقافز

من فيض المرأة المصرية

فالماعت سحبت ريشتها

كى ترسم صورًا تُبرزها

تجسيد هوية مصرية

إيزيس بيدها مغزلها

بجوار الهرم جلستها

من جوفه تسحب في ثقة

خيطا من عمق حضارتها

تنسجه حكايا مصرية

.....

١٨

آخر لوحات المصرية

رسمتها بلطف و روية

تفاصيل اللوحة مصرية

لوحة تدلل أن مصر

تسكن في كيان المصرية

لوحة تشعرنا بالأمن

لا نخشى فقدًا لهوية

فالغول جاء ليخطفنا

يلتحف الدين ليفتننا

هندس دينًا من رؤيته

زعمه كهوية تشملنا

فمصر ليست للمصري

هي جزء من كل أكبر

والمصري ولاؤه للكل

فالجزء دومًا يتأخر

والمصرية صارت عورة

فخر المصري صارت عورة

إن جاءت تسعى و لو عفوًا

كان الشيطان على الأثر

فالأولى هو أن نحجبها

نبعدها تمامًا عن نظر

وحياة المرء بجملتها

صارت للغول كالحكر

فالختم بيده ليقرر

صوابك من خطل الفكر

وأنطلق الغول ليروج

سلعته في السوق المصري

تبعته وجوه غرّته

جعلته يزهو و يتصايح

أن خلوا بيني و المصري

غرّ الغول صمت المصري

حسبه إقبال من المصري

فالمصري يُنجح خطته

لا يتطلبه سوى فرصة

حتى يتسلم جائزته

كم لاعب وهمًا في خياله!

وأسال لعابًا على وساده

كم ظن القدر يحابيه!

فمصر يناير تنفجر

بُغية تحقيق أمانيه

جائزته صارت في يديه

الغول فورًا يستبدل

بهوية مصر المصرية

هوية من صنع يديه

الماعت مفخرة المصري

حوّلها الغول للمسخ

مخلوق شائه يرضيه

الجسد البض المتشامخ

صار كيانًا

لا تدرى ماذا يحشيه

أثواب سود تتراكم

حول وجود

لن تسبر عمق مخافيه

والريشة سقطت من علّ

الغول أبدلها مقود

للمسخ ليحكم مساعيه

بعصاة الحكم يوجهه

ليحقق دوما مراميه

والعنخ آل إلى خنجر

يقبضه المسخ ليتوجه

صوب خصوم قد تُخزيه

حسب الغول أن المصري

عنده كنعاج يملكها

إن رغب لبنًا يحلبها

إن رغب صوفًا يحلقها

إن رغب لحمًا يذبحها

لم يدرك أن فعلته

شعلت نارًا من مكمنها

فالمصري قد فُجع و حار

غدر الغول كم أغضبه!

إذ كيف ساغ له الورع

أن يتخذ الدين مطية

حتى يسرقه هويته؟

أما المصرية فقد رُعبت

إن تُذبح مصر فقد ذُبحت

إن سيقت مصر إلى المسلخ

ستكون كذلك قد سلخت

إن آلت ماعت للمسخ

فمصر جميعًا قد فُقدت

إيزيس حلت عقدتها

صرخت من عمق محنتها

أين المصري ؟

تجاوبت مصر و ارتجت

والحورس فرد جناحيه

لبيك وألف لبيك

لا تخشي شرًا أماه

فالخير جميعًا في يديك

أوتؤذي وحورس بجوارك ؟

لا سلم من يرنو إليك

إيزيس ابتسمت راضية

والماعت عادت للفخر

والغول خاب مسعاه

والمسخ آل إلى القفر

.....

١٩

أيتها المرأة المصرية

المجد منكِ و إليكِ

فلتبقِ دوما شامخة

ولتبقَ مصر بعينيك

لنظل بأمان نسعى

فهويتنا بين يديك

المصرى معجزة تسعى

١

أمي أهواها بلا سبب

أو تهوى الأم لأسباب ؟

يكفيني فقط أنها أمي

كي تعلو سمائى كسحاب

يربطنا رباط من دم

هو عندي أقوى الأسباب

كم سهرت ليلًا بجواري

تتحسس جسدًا يرتعش

تحسب أنفاسي تضطرب

يوجعها قلبى إذ يجب

يسعدها تهلك موضعها

لو كانت نفسي تنتعش

لكن هب أنها نامت

لم تسهر جنبي و لو ليلة

أيغيّر ذلك من حبي

كنت أسهر و يطول السهر

و أعود لبيتى مع الفجر

لأراها سهرى من أجلي

لتعاتبنى عتاب محب

نم أبكر أفضل لو تدري

فنهارنا خلق للسعي

ونوم الليل و لو ساعة

تعدل نوم نهار يجري

لكن هب أنها نامت

لم تشغل نفسها بغيابي

لم تُسهر نفسها لإيابي

أتراني يتغير أمري

إن رمت بكورا لشؤوني

تُبكر قبلي كي توقظني

لكن هب أنها غضبت

نظرت شررًا

صاحت مثلًا :

أضبط ساعاتك

أوقظ نفسك

أنا لست عندك جارية

أفتحسب ذلك يغضبني

ستظل أمى لو سهرت

وكذلك أيضا لو نامت

حبي إياها لن يخبو

مهما فعلت ، مهما قالت

علاقتنا ليست مشروطة

هي أمي و كفاه سبب

.....

٢

إن رمت أمانًا أبغيه

بجوار أمي لقياه

فهنالك جنة وارفة

وهنالك سعدي ألقاه

فالأم برفقتها خصيصة

إذ يثق المرء بمسعاه

فعلاقات البشر جميعا

تحتمل خداعًا مواه

إلا الأم

تمنحك حبًا عن ثقة

في العالم لن تجد سواه

هي عندى سيدة العالم

لا تعدلها أي امرأة مهما كانت

إن كانت تصدر عن جهل

لا تعلم شيئًا عن علم

أو أدب أو حتى ثقافة

لن ينقص ذلك من حبي

ستظل أمي و أهواها

إن كانت عالمة الدنيا

تترقى في أعلى الرتب

يلقاها العالم بالصخب

أتراني يتزايد حبي ؟

ما زالت أمي و أهواها

فهواها لا يقبل نقصًا

كما لا يحتمل زيادة

هو كل كامل بطبيعته

هو ليس غراما كالعادة

هو ليس حبًا عن غرض

هو ليس نارًا وقادة

هو نور صاف يهديني

يمنحني رضاء و سعادة

حبي إياها كالبدر

يزهو في سماء صيفية

في جو صاف كالسحر

فالبدر كل متكامل

هو أقصى تجلي للقمر

لا يَخشى نقصًا لضيائه

إذ ليس هنالك من كدر

قد تحدثه سحب مارة

سحب تتجمع للمطر

يسعدني لحبي إياها

أن تحصد خيرًا في مسارها

لا أتغيب عنها أبدًا

أتصيد دومًا أخبارها

تسعدني دومًا برضاها

إن رمت ملاذًا أختارها

.....

٣

كالأم الوطن لأصحابه

نهواه لغير الأسباب

يربطنا رباط الكينونة

وبدونه نُفضي لسراب

وطني يبني لي كياني

يمنحني هوية تُثريني

بدونها أُفضي لمتسول

تدفعة كل الأبواب

علاقتنا ليست مشروطة

كذا شأن الحر مع وطنه

إن كان فقيرًا و ضعيفًا

يتسول من غيره غذائه

وكسائه بل حتى دوائه

طرقاته تملؤها الحفر

وتعمّ الأدخنة سماءه

لن ينقص ذلك من حبي

وإن كان قلبى يتقطع

أبكيه و أرجو له الخير

أبغيه شجاعًا و قويًا

و كذاك كريمًا و غنيًا

إن صار كذاك يُسعدني

وأصير فخورًا و هنيًا

لكن حبي إياه

لن يربو أو يرجو رقيًا

إذ حبي أياه اكتمل

لا يخشى نقصًا أو ليًّا

أهواه في كافة أحواله

بجواره أصبح مرضيًا

.....

٤

الوطني الحر في نظري

لا يفرض شرطًا على وطنه

كي يقبله

لا يربطه بأي نظام

فالوطن بخير و سلام

إن أعجبه أو قربه

والوطن جحيم و بلاء

إن أغضبه أو أبعده

حب الوطن ليس بصفقة

هو منطق بائس لا يجدي

الوطني الحر يرفضه

هل ترفض بذرة أن تنبت

لو سقطت داخل مستنقع؟

أتلوم عليها زهرتها

أن صارت بنت المستنقع؟

أفيأبى النحل زيارتها

يأنف أن يأتي المستنقع؟

أم تنبت

في العالي تشمخ

زهرتها تعلوها كتاج

تجلب نحلات و فراش

وتقضي و تر المحتاج ؟

فقبول الزهرة لموضعها

صيرها زينة موطنها

.....

٥

لا لا لن أتمادى

لأعدد أفضال الوطن

الوطن منزل يأويك

الوطن غذاء يُنميك

الوطن غطاء يُكسيك

الوطن علاج يُداويك

الوطن يُريحك من جهل

من نبع علمه يُعطيك

أفهذا يجعلك تحبه ؟

أفهذا جميعا يُغنيك ؟

كل الأوطان بلا جدل

تمنح أبناءها تلك المنح

هناك تفاوت بالبطع

يُفضي لتفاوت في الرجح

ما بين وطن و الآخر

كما أن المنح جميعا

ليست تتعلق بالوطن

فالمرء بوسعه يُحصّلها

من حيث يقرّ به السكن

لكن الوطن يمنحنا

شيئا آخر

لا يمنحه إلا الوطن

شيئا أرقى

شيئا بجواره تتضائل

كل المنح

الوطن يمنحنا هوية

لا يدركها إلا الفطن

.....

٦

الوطن هوية تجعلنا

نبصر شمسه

فنراها حنونة كالبدر

نتفيؤ ظلّة أشجاره

لا يدانيها أبهى قصر

نتذوق قطرة من مائه

فنراها سيدة القطر

نتشمم تربة حصبائه

عطرا ينساب كالسحر

عطرا يأسرنا و يجعلنا

للتربة فداء من خطر

.....

٧

هناك من يسعى ليقطع

سببا يربطك مع الوطن

هي أنظمة تسعى كأفعى

لتشوّه حبك للوطن

هي تزعم زعمًا مكذوبًا

بأن المال هو الوطن

هي أنظمة لا تشبع

لا تنصح رغبة في النصح

بل تنصح رغبة في الربح

هي تبغى الخير لأوطانها

وترى أوطاننا كالكبح

لذلك تسعى لإضعافنا

لتظل تسود و ننبطح

فهناك بضائع تنتجها

تبغي مستهلكا يبتاعها

كي تحظى دومًا بالرجح

لذا تسعى كي تقطع سببًا

يربطك بوطنك

يثريك

يدفعك كي تعلي شأنه

تُبلغه مكانة ترضيك

وبذاك تقل مكاسبها

هى لا تقبل أى شريك

أما إن سرت على خطاها

فالمال صار لك هوية

إن قل سبيله في وطنك

فاهجره بنفس مرضية

ليظل هنالك منبطحًا

وتظل سيادتها قوية

هي تبصر وطنك كمنافس

وتراك وسيلة تُرقّيه

لذا تسعى حتى تصرفك

تحرمك مسعى يُعليه

.....

٨

هويتك إن شكّلها و طنك

لن تشكو يومًا من فقد

أما إن شكلها مالًا

فستسعى سعيًا بلا حد

لتسد فراغًا في الداخل

وستعجز دومًا عن سد

حتى تأتيك منيتك

وتصير عظامًا في اللحد

وسيرث بنوك مصيبتك

هي دورة حرمت من نفد

.....

٩

هويتنا سر تماسكنا

لن نبنيها بغير الوطن

هي ليست أمرًا فى الخارج

يبنيها سعي أو فِطَن

لن أضرب مثلًا بالسالمون

يعبر كل بحار العالم

ليعود لوطنه كفريسة

توشك أن تهلك من تعب

أو حتى بالطير نراه

يزود بعنف عن عشه

مع أنه كومة من حطب

إن رمت مثلًا أختاره

فسأضرب مثلًا بالبشر

فالبدو في عمق الصحراء

تبدو حياتهم كجحيم

الشمس نهارًا تصليهم

حرًا كحميم

والليل هنالك يبليهم

بردًا فى صميم

والزاد عندهم فقير

يشقيهم بُغية تحصيله

والماء هنالك تقتير

يُضنيهم بُغية تجميعه

إلا أنهم مع ذلك

يهيمون بصحرائهم حبًا

يرونها قصصًا كذا شعرًا

لا يغنيهم شيء عنها

لا يقبلون بها بدلًا

وكذاك الأمر مع عرايا

يحيون في عمق الغاب

أو قوم بيئتهم ثلج

فالثلج هناك يلازمهم

كثقيل ملصق بالباب

والكل يفتخر بوطنه

ويراه كالنعيم الغلاب

.....

١٠

بل إن هنالك أقوامًا

صنعت بالأمس أوطانها

هي بضع عقود معدودة

تشكّل ماضي أيامها

ونراها مفخرة بنيها

لا يرضون بديلًا عنها

ونراهم يسعون حثيثًا

ليمدّوا في الماضي زمانها

كما أن هنالك أقوام

سرقوا الأوطان وغصبوها

هم سرقوا تاريخها وموقعها

من سعي بنيها حرموها

نسبتها لأصحابها أزالوا

وإلى أنفسهم نسبوها

هم يسعون خلف هوية

منحة أوطان سرقوها

.....

١١

فإن كان بمكنة أقوام

الفخر بأوطان جدبى

وإن كان بمكنة غيرهم

الفخر بوطن قد صنع

بل إن هناك المتبجح

من يبهجه وطن غصب

أفلا نفخر نحن بمصر

فمصر عندي أبصرها

تعلو سماء فوق السحب

فالنسبة إليها تشرفني

هي أرقى درجات النسب

أنا أصلًا أهواها عفوًا

أو تهوى الأوطان لسبب ؟!

غير أنّ وطنى كريم

يمنحني مفاخرًا لا تُحصى

هي فوق الحد و السبب

لذلك أفتخر بوطنى

أفديه حياتي على الرحب

وأراني أهتف من عمقي

لو لم تكن مصر وطني

لوددت ذلك من قلبي

فمصر مفخرة عظمى

وحيث يممت بوجهك

ستراها نورًا فى الدرب

.....

١٢

إن رمت تاريخًا كي تفخر

يكفيك تاريخ ألفى

لا يدانيه تاريخ آخر

فمصر تنفرد كماسة

لا يدانيها جوهر آخر

فمصر ما بين الدول

يشبهها آدم في البشر

لم يسبقه بشر آخر

فمصر بلا أى منازع

هي أول دولة في العالم

تحصرها حدود معلومة

يسكنها أناس يجمعهم

أواصر قربى مفهومة

يجمعهم همّ مشترك

أبقى دولتهم نبراسًا

كي يحذوه باقى العالم

فمصر هي أم العالم

لكنها أم عذراء

لم يقربها يومًا أب

إذ من يكافئـها فخرًا

كي نسلكه ذاك الدرب

أخصبها بنوها بمعجزة

كي تنبت مفخرة عظمى

ندعوها اليوم المدنية

فالمدنية نبت مصري

لم يسبقها إليه آخر

.....

١٣

إن رمت مباني كي تفخر

يكفيك الأهرام لتفخر

يكفيك معابد لا تُقهر

مرّ الأزمنه يُجلّيها

لا يفنيها

يكفيك مقابر لا تحصر

يكفيك مساجد و كنائس

وكذا أديرة و معابد

وكذا أسبلة و مشارب

من رام حصرًا لن يقدر

فمباني مصر بروعتها

عقد ينتظم بفتنتها

كي يعبر مصر بجملتها

من أقصاها إلى أقصاها

يجعلها بهجة في المنظر

.....

١٤

إن رمت دينا كي تفخر

فمصر تشبعك فخرًا

هى أول من قبل مصيرًا

بعد يقين

هى أول من فرض الخُلق

على الدين

ففضيلة رجل يتكفى

أعظم رجحا عند الرب

من قربان الظالم يذبحه

ذو جسد ضخم و سمين

هى أول من وحد ربًا

لآتون بمفرده المجد

ليس سواه رب حق

دون قرين

يكفينا و يكفيها فخرًا

أن الرب جلّ علاه

لم يتجلى إلا فيها

هي غذت موسى و رعته

إلى أن شب بأراضيها

هي من آوت عيسى طفلًا

حين لجأت أسرته إليها

عذراؤنا أم العالم

تهب العذراء و أسرتها

أمنًا لتقر لياليها

دين المسيحية تبعته

من ثم سريعًا نظمته

كنس و لاهوت منحته

تاج الرهبنة نمّقته

غرس الديرية غرسته

كي يحذو العالم حاذيها

للعربى المسلم هي خال

من نسل هاجر ينحدر

يا شجرة زرعت في الماضى

من بذر خليل الرحمن

تربتها أصل نضارتها

قد جاءت من أبهى مكان

نهر من الجنة أسقاها

طمي كالحنة غذّاها

من صافي الحكمة مرباها

صارت هاجر أم العرب

أنموذجًا كاملًا للأم

إذ يكسوها تاج إيمان

إن أمر الرب تمتثل

لن تلمح ذرة عصيان

تُبصر في عمق محنتها

عجائب صنع الرحمن

لذا لا تقلق

مهما كان وضعها مقلق

إذ تُترك وحدها فى مفازة

رفقتها رضيع يضنيها

تقبل

مادام الرب قضى ذلك

إن يؤخذ وحيدها كذبيحة

يُقدمها الأب كقربان

تقبل

مادام الرب رضى ذلك

لذا ربّت أبًا للعرب

صارت مفخرة للعرب

نسبها ظل مرعيًا

لم يغفله خير البشر

بل جدده عبر مارية

كما أوصى صحبه بالذكر

إن تدخلوا مصر يومًا

لا تنسوا نسبًا من هاجر

لا تنسوا قربًا لمارية

بدخول الإسلام إليها

وجدته كضالة تنشدها

عدالته تذكرها بماعت

رؤيته تشابه رؤيتها

فالفرد يتعبد ربه

من دون وساطة ينشدها

لذاك سريعًا تبعته

صونا لهوية تطلبها

وسريعًا صارت مفخرته

صارت دومًا بين قممه

وحين أناخ الدهر بأهله

حسن مأوى من يرغبها

.....

١٥

إن رمت خُلقًا كي تفخر

في تربتها زُرع ضمير

ثم روته من ماء النيل

من ثم أخذ يتنامى

فصار شجرة وارفة

ليتخذه المصري كدليل

كي يرحم كل الأحياء

كي يتسامح مع أقرانه

ويعامل باللطف جيرانه

ويحنو كثيرًا على أهله

ويُكرم كافة أخدانه

ينهي عن سرقة أو قتل

ينهي عن غش أو غدر

لا يشتهي زوجة غيره

لا ينطق بالكذب لسانه

فالعدل كان نبراسه

قلبه يتعلق بميزانه

فالخير الصافى في ركابه

خير لا يُعدم إحسانه

لذا فرض العدل على الكل

حتى الملك

فالملك الصالح من يعدل

فالعدل للحكم أساس

حتى آلهته بمعتقده

قد صار العدل لها شرطًا

إذ ليس بوسعها أن تظلم

وإلا من عليائها تسقط

وتصير مطية للناس

لم يفعل ذاك سوى المصري

لم يسبق أحدهم المصري

فالعالم في الخُلق عيال

سابقهم كلهم المصري

.....

١٦

هل مرّ بخاطر أحدهم

أن يعطي للمرأة حقوقًا ؟

فالمرأة كانت مخلوقًا

ما بين الدابة و الرجل

للدابة هي قد تنحدر

لكنها مهما فعلت

لن ترقى أبدًا للرجل

والرجل كان يبتاعها

ليفعل ما عنّ له فيها

إذ يعصر بطنها إنجابًا

كما يعصر بدنها أتعابًا

وإن شكيت يومًا أو ضعفت

فالحل بسيط

يرميها

كما أنها كانت مالًا

يدخره لديه

إن ضاقت أرزاقه يبيعها

لا بأس عليه

أما في مصر فنفتخر

أن المرأة كانت دومًا

صنو الرجل

كانت شريكته في الأسرة

كانت رفيقته في الحقل

لا يرث أحدهما الآخر

فالمال بينهما شراكة

يورث رأسًا للنسل

لا حرج عليها في خروج

سواء خرجت للنزهة

أو خرجت تسعى للعمل

لم يكن الرجل ليفضلها

بل كانت تعادله تمامًا

مثل بمثل

مكانتها المرموقة تلك

كانت مدعاة للعجب

في نظر الآتي من الخارج

وبشؤمهم مع حرصهم على تحقيرها

نزلت درجة دون الرجل من تأثيرها

درجة بسيطة

فلقد ظلت تسعى سعيه

تخرج مثله وفق خاطرها

وستظل مكانتها غُصة

في حلق الآتي من الخارج

فمصر بعفو فعلتها

وباقي البشرية إحتاج

بضع آلاف كي يفعلها

المصرية كانت دومًا

فخر المصري و بهجته

إن ساء الدهر فهي عون

في العمل دومًا رفقته

إن ناء كاهله بظلم

صرختها تسبق صرخته

ستظل كذلك للأبد

فالأمر تاريخ خطته

المصرية حين كانت

تغشى الأسواق و ترتادها

تغدو للنيل لتتنزه

لا تقصر فيما يسعدها

كانت غيرها تتعثر

في ظل نظم تُهلكها

فهناك أماكن تُسجدها

ما دام الرجل بحضرتها

وهناك أماكن تدفنها

حية إن يهلك سيدها

وهناك أماكن عدتها

ساحرة تحرق من فور

إن لم يعجبهم منظرها

.....

١٧

أفنزهو على كل البشر

بأن مصر قد وقفت

في وجه هجمات الهمج

كي تنقذ للبشر حضارة

كانت تتعثر في الخطو

فالعالم حقل قد أينع

والهمج كان الحصّاد

ولولا الفارس المصرى

لانحال الحقل إلى رماد

قد يتطاول بعض الحمقى :

ما شِأن المصرى بالأمر؟

فالفارس كان المملوك

تلك حماقة

يُغلفها الجهل كشرنقة

يحسبها الغافل عن جهل

تحوى فراشة

والعاقل حين يمحصها

لن يبصرها

غير حماقة

فالفارس كان المصري

من ترك المملوك ليحكم

غير المصري

من وضع سيفه في يده

غير المصري

من مهد له ظهر حصانه

غير المصري

لو خذل المصرى المملوك

هل كان بقدرته يحرك

أية جندي ؟

فالحرب على الجبهة تُجلّي

معركة أخرى في الحقل

من عرق المصري و سعيه

و كذاك مهارته و جده

فاضت أراضيه بالخير

من ثم صار بمكنتها

إعداد جنود للسير

فالمصري ظهير في الحقل

للجند في ساحات القتل

إن قصّر في دوره هناك

يُفشلها و تُحرم من فعل

أبفضل السحب الأمطار

أم يحظى البحر بالفضل ؟

.....

١٨

إن رمنا جميعا أن نفخر

فلنفخر قطعًا بالمصري

من زرع حديقة غناء

لم يحتج سوى حفنة طين

والنهر الجامح روضه

ليُغذي بلاده كوتين

من بنى و علّى بيمينه

حسنت منه ذاك يمين

من رفع صرح الأخلاق

أبدلها جميعًا بالشّين

من رفض مصيرًا من عبث

إذ يستوي فيه الضدين

واختار مصيرًا من عدل

إذ كل بما فعل رهين

.....

١٩

المصري بان لحضارة

يحتاج قيادة و يقينا

إن سدت في وجهه السبل

لن يبقى للذل قرينا

فسيبحث كي يجد وسيلة

تبقيه حرا و كريما

والظالم لن يأخذ منه

سوى ما قرّر أن يُعطيه

هو أمر يتقنه تماما

و لديه تاريخ يحكيه

لكن إن فتحت سبله

فورا تتغيّر أحواله

لا يستغرقه الأمر كثيرًا

بضع سنوات فى الأكثر

ليحقق كافة آماله

واديه الأجدب يختصب

مخازنه الفرغى تنتعش

يزحمها طعام

أجناده تسعى منتصرة

أقواس نصره منتشرة

ومصير الأعداء حِمام

وبلاده تزهو بموضعها

إذ تغدو درة أقرانـها

تتسيد فورا موقعها

والباقى يتبعها إمام

.....

٢٠

هذا المصري

معجزة تخطو على الأرض

يأتي من قاع يغمره

للقمة في لمح البصر

لو حدثت مرة واحدة

لنُسب الأمر للصدفة

لكن الأمر يتكرّر

مرات تربو على الحصر

أأبالغ ؟

كلا في المطلق

بل هو محض تاريخ يسري

إن شئت أن تراه بنفسك

فلتتصفح ذاك السفر

وستجد الأمر يتكرر

وكأن هناك معادلة

خطت بيمين على حجر

ومصر تسير على الأثر

حاكم كفء

بعدل يجري

عطاء الوادى ينفجر

مصر تعلو

مثل القمر

معادلة جد منضبطة

تجري في الواقع بلا كَبَد

معادلة تخلو من المصري

فالمصري عطاء في الأبد

يبرز إن صلح حاكمه

ويؤول خموله للضد

أما إن فسد حاكمه

يتوارى كسيف في الغمد

فالحاكم الكفء يُظهره

و الحاكم الفاسد يُكمنه

لكن أبدا لا يفشله

لا يتطلب إلا الكفء

ليعود لفعل يتقنه

كنبات الصحراء جواره

يكمن كبذور يخفيها

في جوف رمال يدفنها

والرمل محال يبديها

والمار هنالك لن يبصر

غير البيداء و صحاريها

لكن ما إن تمطر

ينقلب المشهد لربيع

حديقة غناء تظهر

ونبات بالعطر يضيع

أتراها جاءت من عدم

أم سحر الصحراء سريع ؟

تبقى ما دام لها المطر

ما دام يأتيها الريع

إن جاء جفاف يهلكها

تكمن كبذور تخفيها

تنتظر المطر ليبديها

وتعاود زهوا و تشيع

.....

٢١

كم أنتِ يا مصر عظيمة !

ودليلي كثرة أعدائك

فالخامل من ذا يذكره

لكنك شمس في سمائك

تُعجز شانئها و تحقره

أعداؤك ينقصهم شرف

يحترفون قلب حقائق

هو فعل الماكر يتقنه

فتاريخ ألفي شامخ

يحسبونه طرفة عين

تحقيرا للتالد منه

ويرون مصر كبالون

نفخت باكرًا

فثأت باكرًا

ما أتعسهم!

إن كان تاريخ ألفي

يدعى باكرًا

ما أطوله ذاك الباكر!

إن كان زهوًا و صعودًا

يدعى فثأ

ما أروعه فثأ فاخر!

عن عمد يحتقرون بنيك

إذ يزعمون أن تاريخك

ليس سوى تاريخ للحاكم

أما المصري برؤيتهم

فكسول في جهله نائم

يرضى بالذل و يعشقه

لا يسعى لعمل يعمله

إلا تحت سياط الحاكم

المصري عندهم كدابة

إن تركت للراحة تركن

إن لهبت ظهرًا بسياط

تسعى للعمل و لا تسكن

ما أجهلهم!

فتاريخ المصري يشرفه

كما أن الخامل و الجاهل

لا يبني حضارة تتطاول

حتى تُخزى لوم اللائم

قد يبني المضطر مبانيًا

لكن هل ينظمها دررًا

مازالت تختلب اللب

إذ يعشقها عشق الهائم

كما أن القابل للذل

ترضخه رغبة حكامه

لكن المصري بفطنته

هو من أرضخ حكامه

وحياته سارت كما يهوى

تدبير يُحسن إحكامه

.....

٢٢

كم مر قوم على مصر

لم يبق منهم سوى مصري

فالمصري قد فرض قانونه

من رام بقاء في مصر

فليرحل أو يحيا كمصري

فالمصري دوما متبوع

تاريخ المصري يشرفه

تاريخ حق مطبوع

فالمصري حياته تغنيه

اختط طريقا يرضيه

إما تتبعه بلا جدل

أو تترك فورا أراضيه

فحياة المصرى كالحرم

إن راعاها حاكم كفء

فسيحظى دوما بالغنم

أما إن دنسها الفاسد

لن يرجع إلا بالندم

حتى اتهموه بالجمد

فرية فحواها كالعدم

فالجامد لا يبني حضارة

مهما كان حُسن إدارة

.....

٢٣

المصري ليس عن جمد

يتمسك بنمط حياته

بل عن خبرة و ثقة

تمتد عميقا في ذاته

فالأمر جُرّب مرات

صاحبها دوما نجاحات

فعلام يتركه المصري؟!

أسلوب حياته يشكّله

يمنحه وجوده و كينونته

يمنحه هويته كمصري

أتلام فراشة إن طارت؟!

أتلام غزالة لو مالت ؟!

أتلام زهرة تتفتح

تُخزيها عطور قد فاحت؟!

هذا المصري بأسلوبه

حاشاه يُرمى بتحجر

أو أنه يخشى التغيير

بل هو حى متفاعل

على درب حضارته يسير

لا يخشى جديدا يأتيه

بل يقبله و يبرع فيه

من ثم يدمجه سريعًا

في أسلوب حياته ليثريه

هو أمر يتقنه المصري

اعتاد من القدم عليه

.....

٢٤

المصري معقد بنيانه

ثوب فرعوني يشمله

القبطي سُداته تُبصره

أما العربى فلحمته

المسجد يواجهه كنيسة

هلال يعانقه صليب

الشيخ يصلي في الدير

أبو الهول يشمخ بسمو

كي يحرس السد العالي

أهرام الجيزة ببهاء

تفترش ميدان التحرير

ماعت فلاحة في المترو

ريشتها قلم في يدها

إذ تكتب ينبعث صرير

يُحلّق حورس في سمائها

كي يخزى دوما أعداءها

ينطلق بعيدا و يطير

إيزيس تقترن أبيس

تلبسه نيرا من معدن

كي يحيّ في الحقل أوزير

كي يهدر صوتًا في مصنع

كي يرفع مبنى في موقع

كي يدفق خيرًا في وطن

ويفك سراحًا لأسير

وهنالك جسر ممتد

كي يعبر عقبة كأداء

المصري يرجوها عبورًا

للجهة الأخرى فهنالك

ينتظره تحديد مصير

المصرى نراه في عبوره

خطوه واثق

وجهه باسم

هامته دومًا مرفوعة

في ظل حضارته يسير

هويته يحزمها حقيبة

يحملها دومًا على صدره

ومصيره يحدده بنفسه

بطريقته

لن يعجزه ذاك مصير

قدراته لا لن تخذله

و يقينه لا لن يغادره

فمصر التى يبغيها

هي مصر تجلي هويته

هي مصر يبنيها كمصري

يبغيها تجليه كمصري

وسيخزي كافة أعدائه

هم أرادوه غير المصري

هم لم يفهموا عمقه كمصري

حسبوه عن جهل يصدر

لا يدرك عمق هويته

واستبشروا خيرًا برؤاهم

فالجهل مفتاح الفتن

لكن المصري أفشلهم

إعراضه عنهم حيّرهم

فرموه غيظًا بالجبن

عدّوه مطية حكامه

وبكذب مفضوح زعموا

أن مقولتهم يُثبتها

تاريخ تُثبت أحكامه

ما ضر المصري في عليائه

بهذا الكذب المفضوح !

فتاريخه يتحدث عنه

هو عبر تاريخه يتسامى

أمجاده تشمخ كصروح

.....

٢٥

المصري من قبل الزمن

اختط نظامًا لحياته

نظام ماعت تعلوه

والحاكم الكفء ينظمه

والمصري بيده ينفذه

والحاكم الكفء ضرورة عند المصري

كالشمس و التربة الخصبة

كنهر النيل إذ يجري

فالنهر الجامح يتطلب فرط تعاون

لن يتحقق إلا بعدل

يضمنه الكفء و يرعاه

كي تطفر مصر بالخير

.....

٢٦

المصري لا يرجو دليلًا

على حسن كفاءة حكامه

غير كفاءة حكامه

فالحاكم الكفء بنظره

كالشمس تصاحبه بحقله

دفؤها إنعاش لعظامه

فكفاءة حاكمه يراها

منزل هادئ يجمع شمله

خير باد يُشبع بطنه

خيط نسيج يكسو جسده

كما تجمع شمل حبيبين

أليف يتزوج إلفه

كما أن كفاءته تظهر

في الداخل أمنًا يحفظه

في الخارج دفعًا للباغي

إذ ذاك سينطلق المصري

كي يبني حضارة تتسامى

لا يفنيها الزمن الباغي

عن حب يخلو من جبر

فالحاكم الكفء يراه

أمنًا و خيرًا و سلامًا

يمنحه الفرصة كي يُنتج

يمنحه براحًا كي يُبدع

ومصر يُبقيها إمامًا

أما عن طرق إدارته

فأمر لا يعني المصري

فالمصري يعنيه المنتج

والعدل دروبه منوعة

والحاكم حر في المطلق

ليتخير إياها ينهج

فالمصري يعنيه العدل

والحاكم يعنيه المنهج

فالمصري كالنحل العامل

والحاكم الكفء زهرته

لا يعنيه زهوة لون

لا يعنيه عبق عطور

يعنيه رحيقًا ضمته

فكفاءة الحاكم المصري

هي أمر يلمسه المصري

يُغنيه عن أي دليل

هو درس ضارب في القدم

علمه إياه النيل

فالنهر الجامح مطواع

للحاكم الكفء و ذليل

.....

٢٧

هنالك شرط لا يكتب

بين المصري و حاكمه

إن رمت تعاونًا مع خططك

كن كفء و ابعد عن شططك

و احذر أن توغل في شأني

فتصيب هويتي بعبثك

فحياة المصري كما يهوى

أمر لا يخفى مكنونه

فالمصري يرفض بعناد

تدخلا فظًا في شؤنه

والحاكم الكفء برؤيته

يضبط نهره و يغادره

كي يحيّ وفق مفهومه

يبذر حقله بطريقته

زرعه يزرعه برغبته

حتى يحصده ببهجته

من ثم حاكمه يعود

ليجني ضرائب كفاءته

من ثمّ يرحل من فوره

فى العام القادم عودته

فالمصري كنحل العسل

إنشاؤك خلاياه لا يعني

أن يصنع عسلًا كما تهوى

سيظل نحلًا كما يهوى

يبنى خلاياه كما يهوى

يترك خلاياه كما يهوى

ويرود الزهر كما يهوى

يمتص رحيقًا كما يهوى

يصنعه عسلًا كما يهوى

لن يبقى شئ تفعله

سوى جني عسله إن تهوى

.....

٢٨

هذا المصري حريته

تاج ما غادر جبهته

وبفضلها بقي كمصري

ابتلع غزاته و هضمهم

لم يبق منهم سوى مصري

لم يُرضخه لهم جبن

بل منطق كالشمس ساطع

فالآخر جدول يتهادى

والمصري كالبحر الشاسع

إذ يلتقي جدول بالبحر

ما ضر البحر في الواقع !

لن يبقى ذكر للجدول

فسيبلعه البحر الجامع

وسيزداد البحر ثراء

متبوعا و الجدول تابع

هذا المصري ما أذكاه!

تمسكه بهويته حماه

جعله يبتلع الآخر

لم يُبق بوطنه إلاه

.....

٢٩

المصري فطن أعلمه

واقعه القاسي أفهمه

أن علاج النهر الجامح

فى حاكم كفء يُلجمه

و سيلمس ذلك في حقله

خيرًا و نعيمًا و سلامًا

أما إن يفسد حاكمه

فسيلمس ذلك في حقله

جوعًا و خرابًا و حطامًا

و المصري ليس عجولًا

فسيصبر علّه يتغيّر

يُصلح بنيانا منهارًا

فالمصري يحتمل الحاكم

مهما ضعف أمله فيه

فهو لا يركن للثورة

فالثورة نار تكويه

ليس عن جبن بل وعي

فالثورة ضرب في التيه

إذ حين تجتاز الوادى

لن تُبقي شيئا يُغنيه

فالمصري ماهر في الواقع

مهما كان فساد الحاكم

لن يحرمه جني يديه

هو يتقن آلاف السبل

كي يخفي مالًا يُبقيه

أما الفاسد فسيخذله

وسيصبر صبرًا يُتقنه

وسيسعى حتى يُفشله

حتى تتقطع به سبل

وقتها تتفجر ثورته

إذ لم يبق سوى الثورة لديه

.....

٣٠

المصري عبر تاريخه

يقطر وعيًا

يركم خبرة

اعتاد قسمة خيراته

ما بين السلطة و الأسرة

فالسلطة برؤيته ضرورة

حق ما تأخذه كأجرة

شرط ألا تصل يداها

لأموال صارت مدخرة

فالمصري لن يحرم نفسه

ما تُنتج أرضه من ثمرة

والسلطة الكفأة تعفيه

من فتح كتاب يخفيه

كتاب خطه بيمينه

ليرشده في ظلام التيه

كتاب من عمر تاريخه

سطّره خبرة تحميه

من حاكم فاسد يسرقه

يحرمه من جنى يديه

فهنالك آلاف الحيل

ليخبئ مالا يُبقيه

والفاسد لن يأخذ منه

سوى ما قرّر يعطيه

إذ ذاك تهدأ ثائرته

ففساد السلطة يعنيها

وصلاح الوادي يعنيه

.....

٣١

المصري يدرك عن خبرة

أن الثورة

لن تُبقي شيئا في بلاده

والمصري يعشق عن صبوة

زهو الخضرة

تتمايل خيرًا في بلاده

ولن يلجأ أبدا للثورة

ما دام بجعبته حيل

تُخفى خيره

عن أعين تفسد في بلاده

حتى يعدم حيله

وفساد السلطة يستشري

ينشر قحطًا يغزو بلاده

والمصري الثائر بركان

حممه تندفع تباعا

لا لن يتوقف عن قذف

حتى يأتيه الحاكم منصاعا

.....

٣٢

هناك حاكم للمصري

لا يجني خيرًا من المصري

يُفجّر فورًا بركانه

لا صبر هناك و لا مهل

قِدر يتحقق غليانه

هو حاكم ما فهم المصري

لم يتعاط مع منظومته

بل سعى بحمق ليبدل

أسلوب حياته و كينونته

فأثار حفيظته و غيظه

حرّكه للثورة بكيده

وعليه دارت دائرته

وسينجو المصري بكينونته

يلبسها تاجًا من فيضه

.....

٣٣

المصرية عند المصري

ليست عرقًا يتعشقه

ليست دينًا يتعبده

هي نمط حياة

هي هوية

فالحاكم يصبح مصريًا

تقبله الأرض المصرية

ما احترم الذات المصرية

لم يبدلها أي هوية

غير هويتها المصرية

حتى لو جاءها غزوًا

تحمله رياح خارجية

أما إن خان هويتها

أجبرها كي تُبدل ذاتها

صار خائنا في نظر المصري

وإن كانت دماؤه مصرية

الأول يحترمه المصري

يتفاعل سعيًا مع عدله

كي يبنى حضارة مصرية

والثاني يكرهه المصري

يُخزيه كما يفشل سعيه

يواجهه بثورة أبدية

فالمصري الموسوم ظلمًا

بالعبد الأقدم تاريخه

هو حرّ كان و ما زال

لم يعرف قيدًا في تاريخه

فنظام حياته كحياته

لم يغادره عبر تاريخه

إن رمت تعاونه اتركه

كي يحيا حياته بشروطه

وإلا فتحمّل ثورته

يُشعلها فداء لشروطه

.....

٣٤

ذاك المصري

لديه تاريخه فاطلعوا

لا تسعوا ضلالًا لتضلوا

أقوامًا تسعى لتنخدع

أما المصري بمنجاته

فلديه هوية تُفشلكم

تجعل فتنتكم تنقشع

.....

٣٥

المصري باني أمجاد

هو غير المجد لا يطلب

اعتاد بلاده في القمة

لا تَطلب هى بل تُطلب

لا يرضيه الدور الثانى

هو إما زعيم أو يغضب

غضبه هذا يشرفه

فزعيم القوم إذ يردوا

يشترط السبق كي يشرب

والصقر العالى في سمائه

لا يرضى بغير عليائه

والأسد الضارى في عرينه

لا يتقبل أى شريك

ينافسه سيادة أرجائه

لكن خصومه بحمقتهم

لم يتفهموا ذاك الغضب

ظنّوه شرخًا في بنائه

سوف يمكّنهم من إرب

حسبوها شرارة انتظروها

ستفضي لحقل من لهب

ما فكّروا فيه يعنيهم

لكن المصري سيخزيهم

وسيبقى دومًا في بهائه

.....

٣٦

كم أنت عظيم يا مصري

لا أخشى عليك من الفتن

فلديك لقاح يبطلها

يمتد بعيدا في الزمن

كم مرة راموا فتنتك

وارتدوا بكيد في النحر؟

سيظل الأمر كذاك غدًا

والعاقل منهم من يدري

أنك سامق

تعلو بعيدًا عن فتنته

وبأن سعيه لن يجدي

غير خواء

لن يحصد شيئًا في يده

هويتك دثار يحميك

عمرها من عمر الدهر
إذ أنت و أهلك في رباط
قولة حق

نسبوها لخير البشر